فتنة عبد الله بن الزبير (*)

للمستشرق الأستاذ رودلف زلهايم

تعريب الأستاذ : حسام الصغير

ليست الروايات التاريخية أقوالاً دقيقة بمفهوم العلوم الطبيعية ، فهي خاضعة للصدفة ، ولا يمكن أن تقارن في مجموعها إلا بقيم تقريبية ذات اتجاهات معينة ، ترتبط هذه الاتجاهات بالرواة أنفسهم في عصرهم ومجتمعهم ، كما يرتبط كشفها وفهمها في ماضيها وحاضرها بالباحثين الذين يحاولون عرضها وتأويلها من وجهة نظر العلم . وبما أن العلم في تبدل مستمر ، فإن زاوية نظره تتبدل أبداً ، وتتبدل معها الشروط المساعدة في إيجاد حكم ما ؛ وهكذا نجد الحكم قابلاً للتمييز بين لونياته الدقيقة على الأقل ، إن لم نقل للتغيير أو حتى للقلب الجذري . علماً بأن التبدل أو السير المستمر لايطابق التقدم بالضرورة ، بل ربما ساوى التأخر في ظروف اجتماعية معينة(١).

(*) العنوان الأصلي :

Rudolf Sellheim , Der zweite Buergerkrieg im Islam (680 - 692) — Das Ende der mekkanisch — medinensischen Vorherrschaft . Wiesbaden 1970 (Sitzungsberichte der Wiss . Gesellschaft an der Johann Wolfgang. Goethe - Universitaet Frankfurt am Main , Bd . 8 , Jahrgang 1969 , Nr . 4) .

(١) من أجل مشكلة الصلاحية المحدودة للأقوال التاريخية راجع مقالة « مفهوم القانون في العلوم التاريخية :

Der Gesetzesbegriff in den historischen Wissenschaften

للمؤرخ الألماني F. G. Maier في مجلة Studium Generale ١٩/١٩٦٦/٦٥٧-٦٦٧

وانظر أيضاً شرح ابن خلدون لمشكلة الدورة التاريخية في مقدمته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إن الرواية التاريخية الإسلامية محددة في اتجاهها الرئيسي – وكما هو متوقع – بنظرة معينة إلى العالم صادرة عن الدين الإسلامي ؛ وهي محاطة بميول رئيسية سادت بين المسلمين . لقد انطلقت هذه الميول من القرآن والسنة وانتهت إلى إدعاء الإيمان الصحيح لنفسها ، لتستمد منه في الوقت ذاته أحقية الحكم والسلطان في الميدان السياسي . كما يحيط بهذه الميول ثلةٌ من الميول الثانوية ، تمتزج بكل رواية تاريخية على حدة وتحدد معالمها : وهي موقف الراوي أو المؤرخ نفسه ونظرته الشخصية للأمور – سيّان أوَعى ذلك وقصده أم لا . لقد بذل المؤرخون بالعربية في صدر الإسلام جهدهم في جمع هذه الروايات المنفردة المتفرقة ، ووضعوها في إطار زمني ، دون أن يتجردوا من ميولهم الخاصة ؛ لكنهم أحجموا غالباً عن صهر هذه الروايات وإدماجها بعضها في بعض ، وبذلك فقد يَسَّروا للعلم الحديث إمكانية مراجعتها وتدقيق النظر فيها خبراً خبراً في معظم الأحيان ، لاستقصاء تلك الاتجاهات الرئيسية والثانوية ، وكشف ميول المؤرخ نفسه ، والتي ينمّ عنها اختياره لمصادره التاريخية قبل كل شيء .

قمت باول محاولة في هذا السبيل في مقالتي « النبوة والخلافة وتدوين التاريخ . ابن اسحق وكتابه »[1] ، فقد تساءلت فيها عن الاتجاهات الرئيسية في تأريخ ابن اسحق لسيرة النبي ، كما تساءلت – إن جاز لي استعمال تعبير جيولوجي لذلك – عن طبقات الروايات المترسبة فيه . انطلقت من الطبقة الأساسية التاريخية ، فوجدت طبقة أولى يبدو لنا فيها النبي ﷺ على شكل أسطوري بارز ؛ وتعود تبعة تكونها في الدرجة الأولى إلى ذلك العصر

(١) Prophet, Chalif und Geschichte - die Muhammed-Biographie des Ibn Ishaq

نشرت في مجلة Oriens ١٨ – ١٩ / ١٩٦٥ – ١٩٦٦/ ٣٣ – ٩١ ، ستنشر بتعريبي قريباً (المترجم) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منذ بدء الصراع حول الخلافة ، وخصوصاً عندما تحول إلى نزاع دموي بين علي ومعاوية في موقعة صفّين ؛ في تلك الأوقات المضطربة دينياً وسياسياً والتي سلب المرء فيها أمنه وطمأنينته . نشأت هذه الروايات التي تمجّد وحدة الأمة الإسلامية الماضية ، وترفع النبي إلى مراتب فوق الواقع البشري . كما وجدت طبقة ثانية ، ترجع تبعة تكونها إلى نشوء القطبين السياسيين الكبيرين : حزب الأمويين في جانب وحزب العلويين في الجانب الآخر ؛ ومن ثَمّ فقد انضم العباسيون إلى صفوف العلويين وأحكموا مراكز قوتهم وانتصروا معاً على الأمويين ، ولكنهم انفردوا بالسلطة وحرموا حلفاءهم منها . والذين كانوا في أشد حالات الانشقاق والتمزق ـ عمل يتكرر في التاريخ البشري ، كلما تعاون طرفان على الوصول إلى الحكم ـ . أما روايات الطبقة الثانية فتحمل آثاراً واضحة من كل هذه المنافسات والاختلافات الدينية ـ السياسية .

هذه المقالة هي محاولتنا الثانية في هذا المضمار ، وهي تعالج أسباب وأحداث ونتائج الفتنة الثانية في الإسلام (٦١ ـ ٧٣ هـ / ٦٨٠ ـ ٦٩٢ م) ، فتنة الخليفة عبد الله بن الزبير ـ أو لِنَقُل : الخليفة المعارض ، إذا نظرنا إليه من خاتمة الأحداث . لن نتمكن في نطاق هذه المقالة ـ وهي بمثابة رسم تخطيطي ـ من حل مسألة طبقات المصادر في النصوص التاريخية ، فالروايات غزيرة ، ولمّا تُهيَّأ النصوص بعدُ لمثل هذا العمل ؛ ومع ذلك فيمكننا أن نتبيّن :

١ً ـ تركزت جهود عبد الله وانصب هدفه في إعادة السلطان السياسي لمدينتي النبي مكة والمدينة إلى ما كان عليه في عهد النبي وخلفائه الراشدين من بعده .

٢ً ـ لم ينظر المؤرخون العرب إلى هدف عبد الله وجهوده بشكل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

متصل بشخصه . وإن وجدنا لديهم بدايات واهية لذلك ، فإنما نرى أن هذا الاتصال يحظى بتقييم سلبي ، يكمن سببه في إخفـــاق عبد الله في مساعيه نتيجة تطورات أخرى أقوى منه . ومن ثمّ فإن المؤرخين العرب لم يروا إلا المجرى الظاهر للحوادث ، وتأثروا ورواتهم بضغط التيـارات الدينية – السياسية المضادة ، وفي الدرجة الأولى بضغط ونفوذ الشيعة في العراق ، كما سبق ونبّه ابن خلدون في مقدمته إلى هذا الأمر (١/٥٦ وما بعدها) .

٣ً – لقد ساهمت المنازعات الدينية – السياسية في العشـر السادس من القرن الأول الهجري / العشر الثامن من القرن السابع الميلادي ، إلى حد بعيد في ظهور روايات بالغت في إعلاء النبي ﷺ بشكل يبعده عن الواقع ويجعل منه قديساً فوق البشر .

إذا نظرنا للأمر من هذه الزاوية أمكننا أن نعتبر هـذه المقالة متممة لتاريخ نشوء طبقة الروايات الأولى في محاولتنـــا المذكورة حول ابن إسحاق وكتابه .

– ١ –

لقد أحدث العشران الأولان من القرن السابع الميلادي تغييرات عميقة في بلاد جنوبي وشرقي البحر الأبيض المتوسط ، وكان لها تأثير شديد على مجرى التاريـخ العالمي . ففي مطلعها هاجر النبي ﷺ مـع حفنة من أصحابه إلى يثرب – مدينة رسول الله فيما بعـد . هجرة لم يعرها أحد خارج الجزيرة أي اهتمام في ذلك الحين . ومضت عشـر سنين ، وقُبض الرسول هناك وهو على يقين من اقتراب هدفه الرامي إلى بناء دار الإسلام في جزيرة العرب . وفي مطلع العشـر الثالث من الهجرة (٦٤٢ م) استسلمت الاسكندرية – مركز الإغريقية والنصرانية في الشرق – أمام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جيش عربي فاتح . تغيرت الأحوال الدينية ـ السياسية من جذورها في مناطق العالم القديم ؛ وتقدمت جماعات البدو من صحارى جزيرة العرب إلى الشمال والشرق مقتحمة بلاد الحضارات القديمة مثل بلاد الشام وبلاد مابين النهرين . لقد أغاروا قديماً على هذه البلاد وغنموا ، ثم عادوا إلى مواطنهم ، أما الآن فقد اختلف السبب المباشر لظهورهم : أمّا تدفقوا بعد إسلامهم إلى مركز العقيدة الجديدة ، مكة والمدينة ، لأنها أثارتا في أنفسهم كثيراً من الآمال والترقعات ؛ منها ما كان حسياً مادياً نظراً لقسوة حياتهم في الصحراء وفقرها ؟ ولكن أنّى لمكة والمدينة المحاطتين بالصحراء أن تستوعبا هذه الكتل البشرية . وهذا ما حث الخليفة أبا بكر (١١ – ١٣ هـ / ٦٣٢ – ٦٣٤ م) وعمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٤ – ٦٤٤ م) من بعده على التفكير في حل ملائم لما أثر عن النبي ، فقاما بإرسالهم إلى المناطق الخصبة دون الرمال والصخور لنشر الدين الجديد ، كما أرسلا معهم جماعات المهاجرين والأنصار الذين وقفوا بعد وفاة النبي ﷺ ضد القبائل المرتدّة . حققت هذه الأفواج في موجة اندفاعها الأول ما لم يكن في التوقع والحسبان ، فقد فتحت الأقاليم البيزنطية سورية وفلسطين ومصر ، واقتحمت دولة الفرس . وبذا بات العرب ورثة مناطق واسعة من الامبراطورية العالمية ، التي أسسها الاسكندر المقدوني يوماً واقتسمها الروم والفرس بعد انحطاط خلفائه من بعده . بقي علينا أن نتساءل : كيف يمكن لمجتمع بدوي أن ينهض بأعباء هذا الإرث على مرور الزمن ، ولو حقق أهم شرط لذلك وهو النظام السياسي – الاجتماعي النابع من تعاليم الإسلام ؛ فلولا هذا النظام لما تمكن أصلاً من الدخول في منافسة جدية مع المجتمعات البيزنطية – النصرانية والإيرانية – الزرادشتية ـ المانوية .

بعد حوالي خمسين عاماً من هذه الفتوحات خمدت الفتنة الثانية في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإسلام بمقتل الخليفة (المعارض) عبد الله بن الزبير وبانهزام مكة أمام الحجاج أمير كتائب منافسه الأموي عبد الملك (٦٥ – ٨٦ هـ / ٦٨٥ – ٧٠٥ م) . لقد جلا هذا النزاع الدموي بين المسلمين خلال اثني عشر عاماً إمكانيات وحدود الإسلام كسلطان ودين ؛ كما أجاب عن السؤال المطروح حول كيفية مواجهة ومعالجة ذلك الإرث ، بأن غدا قطب الرحى في بناء صرح الدولة العربية - الإسلامية ، ومن ثم منطلقاً للتطور الذي أدى إلى انهيار حكم الأمويين ، واستلام العباسيين زمام الساطة ، وشروعهم بتوسيع أنظمة وإدارة الحكم معتمدين بذلك على تقاليد الفرس في هذا المجال .

– ٢ –

لننظر قليلًا إلى الفتنة الأولى في الإسلام (٣٥ – ٤١ هـ / ٦٥٦ – ٦٦١ م) ، فهي التي مهدت لنشوب الفتنة الثانية . امتنع والي بلاد الشام معاوية عن مبايعة علي بن أبي طالب ، وعلل ذلك بتلقي علي منصب الخلافة من أيدي قتلة الخليفة الشرعي عثمان ، الذي بايعته جماعة الشورى . كما اعتبر معاوية نفسه طالب ثأر لدم قريبه عثمان ، وأثار على علي حرباً شعواء خرج منها منتصراً ، فقد سقط علي ضحيةً بسيف أحد المتآمرين قبل أن يحسم النزاع بينهما .

لقد نتج عن هذا الصدام الدموي الكبير بين المسلمين ، أن ادعى معاوية أحقيته بالخلافة ، لأنه انتصر في ثأره لدم عثمان . لم يجرؤ أحد على مناوأته في ذلك ما دامت القوة والسلطة في يده . كان معاوية داهية ومخططاً بارعاً وموفقاً ، فلا عجب إذا رأيناه يبحث عن وسيلة يقيد بها يد المعارضين لخلافته إلى الأبد ، ويطرق لذلك كل سبيل ليتنازل الحسن عن أي حق له في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخلافة . إن كللت محاولته بالنجاح ، فالفضل في ذلك للأموال التي قدمها الحسن الراغب أصلاً عن الحكم والسياسة . لقد أسفر اتفاق معاوية مع الحسن عن نتائج باهرة ، فقد حطم معاوية عن طريقه وعلى رؤوس الأشهاد معنويات العلويين الذين والوا الحسن بعد علي ، وأجبر الجماعات المكية ـ المدنية المعادية على الصمت والهدوء ، فباتوا يأملون أن يعمل الزمن لصالحهم ، ويرون في نقل مقر الخلافة من المدينة إلى دمشق دليلاً على الوضع العابر لبلاد الشام . حجتهم في ذلك خروج معاوية بهذه الخطوة عن نطاق السنة ، وما سيجره عليه من استنكار المؤمنين وسخطهم ، لأن المؤمن ـ في رأيهم ـ لا يمكنه أن يتصور سوى المدينة ومكة مقراً حقيقياً ووحيداً للحكومة الإسلامية ، ولِمَ لا ، أما كانت هاتان المدينتان مركز الحكم الديني في عهد النبي وخلفائه الراشدين من بعده .

لقد كان واضحاً للعيان ، أن معاوية يتتبع مصالحه الشخصية ، وخصوصاً عندما اتخذ دمشق عاصمة للدولة ، لكونها مقر ولايته في بلاد الشام من قبل ولثقته بولاء وجدارة جيش الشام ، التي أظهرها في معاركه ضد علي بن أبي طالب . وهكذا ظن الناس في الحجاز ، أن تغير الحكومة سيؤدي يوماً إلى حل المشكلة ، وباتوا يعلقون على ذلك آمالاً عريضة ويترقبون الموت العاجل للخليفة المتآمر . ما كان معاوية ليجهل ذلك ، فراح يبحث عن وسيلة يقضي بها على أي نزاع حول الخلافة في المستقبل قد يضر بمصلحة الأمويين . بدا له حل المشكلة في تأمين خلافة ابنه من بعده ، وأخذ يدعو إلى مبايعة يزيد في حياته (تاريخ ابن خياط ص ١٩٩ وما يليها ؛ والمقتبس المرزباني ص ٢٣٦ وما يليها) . كان هذا بدعة في الأمة الإسلامية أثارت سخط كثير من المسلمين وخصوصاً أهل مكة والمدينة . لم يعين النبي خلفاً له في حياته ولم يترك وصية في هذا الأمر ؛ كما لم يفعل الخلفاء الراشدون ذلك من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعده . كل ما هنالك أن عمر بن الخطاب عهد قبيل وفاته إلى جماعة الشورى باختيار الخليفة . لقد بدت مقاومة هذه البدعة يائسة ، ما دام معاوية على قيد الحياة وما دام أهل وجيش الشام يقفون وراءه صفاً واحداً لدعم مخططاته في استخلاف ابنه يزيد آملين ألا تفقد دمشق بذلك مكانتها كمقر رئيسي للدولة .

عندما بلغ المدينة في ربيع عام ٦٠هـ/ ٦٨٠م نعي معاوية ، امتنعت المعارضة عن مبايعة يزيد متخذة بذلك أول موقف علني ضد الخلافة الشامية. ولما كلف والي المدينة الأموي بارغام أهل المدينة على المبايعة ، لجأ زعماء المعارضة إلى مكة ، وفتح باب الفتنة الثانية على مصراعيه . فإن كانت مكة قد منحت الخارجين إليها ملجأ أميناً ، فإنها لم تكن تصلح كقاعدة ومنطلق للقتال ، الذي أضحى ضرورة للتغيير الفعلي في تلك الأوضاع ؛ فمعرفة القرآن والسنة والانتماء إلى أهل النبي أو أهل أصحابه المقربين ، كل ذلك كان شرطاً أساسياً للمطالبة بأحقية الخلافة ، ولكن أنّى لذلك أن يكفي إن لم تدعمه القوة وتفرضه . انتقلت الخلافة إلى يزيد في الشام وفي بقية أمصار الدولة الإسلامية دون متاعب أو صعوبات . ويعود الفضل في ذلك للخليفة الراحل معاوية ، ولما اتخذه من إجراءات عسكرية مسبقة ، منها إيقافه ـ بعد مبايعة ابنه ـ معاركه الطويلة مع البيزنطيين ، والتي طرق خلالها أبواب القسطنطينية مرتين ، وعقده معهم هدنة طويلة الأمد ليتفرغ لمعالجة الصعوبات السياسية الداخلية ، فقد كان يعلم أنها ستزداد بعد تولي ابنه الخلافة من بعده . أدت هذه الاجراءات المحكمة والعرض المنظم لقوة الأمويين إلى هدوء المناوآت المتوقعة ، بعد أن كان قد خُطط لها فعلاً وتعالي صوتها في بعض الأرجاء . ومع ذلك فقد بقي الوضع يشبه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الهدوء قبل العاصفة ، واستعصى على المسلمين إغلاق باب الصدام المسلح بينهم[١].

- ٣ -

حكم الخليفة الجديد يزيد (٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م) في بلاد الشام ، يحيط به جيشه الموالي له والمتأهب للقتال في كل لحظة . وكان أهل الشام - كما ذكرنا - يؤيدون خلافته ؛ كما ساء التسامح في معاملة أهل الكتاب كالنصارى ، الذين كانوا أقلية - كبيرة العدد نسبياً - في المدن وأكثرية في بعض الضواحي والقرى ؛ وكانوا يشغلون حتى في الدواوين الحكومية مناصب لم تزل بانتقال الخلافة إلى يزيد ، بل ازدادت لقلة المسلمين الأكفاء آنذاك. كان المسلمون قد أخذوا نظام البريد - أو الجهاز الإخباري - عن البيزنطيين، وأدخلوا عليه تحسينات كبيرة ، وأصبحت الحكومة تحصل بواسطته من من عمالها وقوادها على الأخبار والحوادث من كل ولايات الدولة بصورة مستمرة وسريعة . كما كانت الشام غنية قادرة على تموين الجيش والسكان . أما الأسطول العربي الذي كان معاوية قد أنشأه وأعده من أجل معاركه مع البيزنطيين ولمحاصرة القسطنطينية بحراً ، فقد ساعد الآن بلاد الشام على الخروج من عزلتها ومضاعفة قوتها بالرجال والعتاد . كما كانت مصر والعراق في قبضة الحكومة الأموية ويدير شؤونها ولاة حازمون[٢] .

إذا ما قارنا الموقع الجغرافي - السياسي للمعارضة المكية - المدنية بموقع الأمويين وجدناه في حالة يائسة ؛ فمكة والمدينة محاطتان بصحراء رمليـــة

---

(١) قارن : M . J . Kister في مقالته Maqam Ibrahim, a Stone with an Inscription في مجلة Le Muséon ٨٤/١٩٧١/٤٧٧ - ٤٩١

(٢) قارن E. Eickhoff في كتابه Seekrieg und Seepolitik zwischen Islam und Abendland . Das Mittelmeer unter byzantinischer und arabischer Hegemonie 650 - 1040 , برلين ١٩٦٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حجرية مترامية الأطراف ، ولذا فإنها عاجزتان عن تموين جيش كبير نسبياً لمدة طويلة ، سواء أعسكر قريباً منها أم بعيداً عنها . ولا غرو في ذلك ، فقد كانتا تعتمدان على واردات منتظمة من واحات الشمال ومن مصر في الدرجة الاولى ، كما كان الحصول على جنود صعباً للغاية إن لم يجنّدوا من سكان المدينة ذاتها . فإن تدفقت جموع القبائل في عهد أبي بكر وعمر إلى المدينة ومكة لتنضم إلى صفوف الفاتحين ولتستوطن البلاد المفتوحة ، فقد انحسرت الآن موجة ذلك التدفق البشري من الصحراء . ومع أن هذه الظاهرة لمّا تُبحث عن قرب ولما توضح بشكل قاطع ، فإننا لا نخطىء إن قلنا بأن ظهور النبي ﷺ قد اقترن بتكاثر وتوسع لأهل جزيرة العرب أدى إلى آخر موجة من الهجرات السامية ، وبما أن هذه الهجرة ارتكزت على دين جديد ، فإنها لم تحظ بحد ذاتها بأي اهتمام يذكر حتى الآن .

لقد أخطأت المعارضة إذ توهمت أن وضعها الحالي يناظر وضع الخليفة أبي بكر (١١ - ١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤ م) بعد وفاة الرسول عليه السلام . لقد اضطرت الحكومة المركزية في مكة والمدينة آنذاك لقتال المرتدين في جزيرة العرب نفسها . أما الآن فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وامتدت من شمال إفريقية حتى خراسان . فإن كانت المدينة ومكة سابقاً مركز جزيرة العرب ومنطلقاً للسيطرة على قبائلها - وذلك لوقوعها على تماس الدوائر الحضارية القديمة وبفضل تنظيم الجماعة الإسلامية الأولى الحازم - فإنها فقدتا الآن بعد الفتوحات وبعد انحسار موجة نشر الإسلام الأولى ذلك الوضع المركزي . لم يكن وضع المعارضة يشبه أيضاً الوضع بعد مصرع علي (٤١ هـ / ٦٦١ م) ؛ ولكن هل ظلت المعارضة عشرين عاماً تنتظر موت معاوية لكي تنازع الآن ابنه على الحكم فقط ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تشكل دمشق مركز المحور الشرقي الغربي للدولة الإسلامية المترامية الأطراف ؛ وإذا أردنا أن نقارن بها موقع مكة والمدينة السيء ، فيكفي أن نرسم دائرة مركزها مكة ونصف قطرها ألف كيلو متر ، لنجد أن دمشق والقدس والقاهرة والاسكندرية والكوفة والبصرة تقع جميعها خارج نطاق النصف الشمالي من هذه الدائرة وتفصل مكة عنها صحراء قاحلة ضئيلة السكان لاتصلح إلا للبدو الرّحل . أضف إلى ذلك أن ازدهار العراق وإنشاء مدينتي الكوفة على نهر الفرات والبصرة على مصبه في الخليج العربي قد أفقد غرب جزيرة العرب قسماً من أهميته الاقتصادية ، التي كان يتمتع بها قروناً طويلة في العالم العربي وتتجلى في كونه مركز القوافل التجارية الهندية في طريقها الى البحر الأبيض المتوسط . لقد عرف الخليفة علي بن أبي طالب ـ عندما جهز جيشاً لقتال خصمه معاوية ، وغادر المدينة ليعسكر مع جيشه في العراق ـ أن هذا البلد يتمتع بإمكانيات اقتصادية هائلة وكذا بقوة عسكرية أيضاً . لِمَ لَمْ يصبح العراق إذاً مقراً للدولة قبل دمشق ؟ يكمن سبب ذلك في موت علي المبكر ، الذي كان بمثابة هزيمة لحزبه . ومع ذلك فسيبقى الأمر موضع الشك ، فيما إذا كان العراق سيبلغ تلك المكانة المركزية التي احتلها فعلاً بعد قرن من الزمن تحت الحكم العباسي ، لو أن مجرى التطورات السياسية أدى إلى نتيجة عكسية . لقد بيّنت أحداث الفتنة الثانية أن العراق لم يكن أبداً كلاً ملتحماً رغم موقعه وإمكانياته ، بل كان إقليماً مزعزعاً من الناحية الدينية ـ السياسية والبشرية ـ الاجتماعية ؛ كما لم تكن تنقصه الإدارة الحازمة فقط ، وإنما بضعة أجيال من الزمن لتتوازن أو تزول النقائض الاجتماعية فيه ، وليسود الاستقرار في ربوعه . كانت هذه النقائض تظهر جلية في الحياة اليومية بين المسلمين وغير المسلمين ، وبين العرب وغيرهم وتسبب تنازعهم وتصادمهم ؛ ولقد زالت حقاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعد مضي ثلاثة أجيال ، ومما يدلنا على ذلك توطد الحكم للسلالة العباسية وإنشاء المركز الحكومي الجديد في بغداد في العشر الرابع من القرن الثاني الهجري / مطلع النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي . إذا نظرنا إلى شمال إفريقية والولايات الفارسية إلى ماوراء النهر والسند ، وجدنا أن الاضطراب السائد فيها قد شغل أهلها عن المنازعات الإسلامية الداخلية ؛ كما أنها كانت بلاداً مفتوحة ، لم يعتنق الإسلام من أهلها إلا قسم ضئيل ؛ لذا فإننا سنركز اهتمامنا على ذلك المثلث الذي تشكل دمشق والقدس رأسه الغربي الشمالي والمدينة ومكة رأسه الجنوبي الغربي والكوفة والبصرة رأسه الشمالي الشرقي .

— ٤ —

لنعد في حديثنا إلى مكة . أصبح يزيد بن معاوية خليفة معترفاً به من الجميع ، والتجأ المعارضون إلى مكة في ربيع عام ٦٠ هـ / ٦٨٠م ، وبات زعماؤهم — وعلى رأسهم الحسين — يشعرون بانعزالهم ويترقبون الفرصة المواتية للخروج منه . سنحت هذه الفرصة ، عندما تلقى الحسين بن علي دعوة من جماعات مختلفة في الكوفة — وعلى رأسهم مؤيدون قدماء لأبيه — يحثونه فيها على الخروج إليهم لمبايعته وليقود زحفهم نحو الشام ضد الأمويين . لم يكن أملهم تجديد القتال تحت زعامته الشرعية فحسب ، بل أن تصبح الكوفة أيضاً مقراً حكومياً ، كما كانت عندما اتخذها علي بن أبي طالب منطلقاً لمقاتلة معاوية . قبل حسين الدعوة ، ولكنه لم يبلغ الكوفة قط ؛ ففي العاشر من محرم عام ٦٠ هـ / ١٠ تشرين الأول ٦٨٠ م ، وقبل وصوله نهر الفرات لقي مصرعه مع معظم مرافقيه القلائل في كربلاء على يد نفر من جند والي العراق الأموي عبيد الله بن زياد . كان الأمويون قد شعروا طبعاً بدسائس العلويين ودبّروا أسر الحسين ، ظناً منهم بأنهم يقتلعون بذلك الخلاف من جذوره ؛ وخلافاً لتوقعهم فقد فضّل حفيد الرسول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الموت على خزي الأسر وعاره . لقد غيّرت فاجعة كربلاء الأوضاع تغييراً تاماً وزادت في حدة النزاع المشحون بالميول والأهواء بين المسلمين حتى زعزع وحدة الأمة الإسلامية نهائياً .

— ٥ —

لقد بدا وكأن النظام قد أعيد بمصرع الحسين ، وبالإجراءات الشديدة التي اتخذها والي الكوفة الأموي ضد الذين جاهروا بتأييدهم للحسين ؛ كما ساد الهدوء بين الناس لأنهم باتوا ينزعون إلى الحذر والصمت تجنباً للوشاية أو إثارة الشبهات حولهم . لم يَرُقْ للحكومة الدمشقية ما انتهت إليه محاولة أسر الحسين ، ولكن أنّى لها من تغيير هذه المجزرة بعد حدوثها ؛ لذا فإنها عاملت الناجين معاملة كريمة وأمدتهم بأعطيات من بيت المال ، وأمرت باصطحابهم إلى بيوتهم في مكة والمدينة . لا بُدّ وأن ركب العائدين قد أثار في نفوس الناس الحزن والهلع ، وأصابهم بالذهول للوهلة الأولى ، فلم يجرؤوا على مطالبة الحكومة بترضية رسمية لدم حفيد الرسول المسفوح .

حدث في المدينة ردّ فعل وحيد ، تبين فيما بعد أنه كان ذا أثر خطير على مجرى التاريخ الإسلامي : لقد بايع الناس سراً رجلًا يناهز الستين ، رفيع النسب ، قريب النبي عن طريق جدته ، وقريب أبي بكر عن طريق أمّه ، من أصحاب الحسين الذين خرجوا معه إلى مكة ؛ هذا الرجل هو عبد الله بن الزبير ؛ شارك في شبابه في فتوحات بلاد الفرس وشمال إفريقية ؛ انضم وأعوانه إلى صف عائشة في نزاعها مع علي ، وعكّر بذلك صفو علاقته بالعلويين ؛ أما صلته بالمدينة — مقر الخلفاء الراشدين حتى علي — فكانت مستمرة ووثيقة ؛ وبهذا عاش تجارب تلك الحقبة ، وساعد في ظروف ومواقف هامة على تكوينها ؛ كما كان من طراز الرعيل الأول في فجر الإسلام ، عزيزاً واعياً لكرامته ، ولذا فلم يتمتع بالمرونة السياسية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يكن ليتزعزع عن مواقفه الدينية ؛ جذوره متأصلة في أرض الحجاز ، حذر كأهل جزيرة العرب ، قنوع وكثيراً ما أسيء تأويل قناعته فوُصف بالبخل (من أجل هذه التآويل الشيعية . أنظر : أنساب البلاذري ٥/١٩٥ و ١٧ وما بعدها ، [قارن : تهذيب التهذيب ، ترجمة علي بن زيد] ؛ تاريخ اليعقوبي ٢/٣١٩ ؛ المعارف لابن قتيبة ص ٢٢٥ [١١٦]) . إن كانت هذه الصفات تليق بأصحاب الرسول ، فإنها ما كانت لتؤهل عبد الله على مقارعة الأمويين المتمرسين بالسياسة ، والمتمركزين في أنحاء الدولة ومناصبها ؛ أضف إلى ذلك ، أن نظرات عبد الله السياسية لم تتطور وبقيت على مستوى عشرينيات وثلاثينيات القرن الأول الهجري / أربعينيات وخمسينيات القرن السابع الميلادي / . لم يقدر عبد الله وأعوانه أن يروا أن الزمن لم يتوقف رغم انتظارهم ، وأن التطور تابع مسيرته – موقف كثيراً ما نجد له شبيهاً في التاريخ الغابر والحاضر – . كان الإسلام في نظر عبد الله ، سواء من الناحية الدينية أو السياسية ، هو الإسلام كما عهده في صغره أيام الرسول ونشأ عليه واشتهر به ؛ أمّا كان عبد الله أول مولود للمهاجرين في المدينة ؟ (نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٣٧ ؛ تاريخ ابن خياط ص ٣٤ ؛ تاريخ البخاري ٣ قسم ١/٦ ، العقد الثمين للفاسي ٥/١٤١) . كان عبد الله يشعر بعد مصرع الحسين أن واجبه يحتم عليه إعادة مكة والمدينة إلى ما كانتا عليه من مكانة في عهد النبي ؛ وكانت تتجلى له تلك المكانة في المجال الديني – السياسي أكثر منها في الميدان السياسي – العسكري ؛ فالخليفة في نظره هو رأس الدولة الإسلامية بنظام حكمها النابع من تعاليم الله ، وعليه أن يسير شؤونها من مقره في مدينتي النبي مكة والمدينة كما فعل ذلك الخلفاء الراشدون ؛ وبقي عبد الله مخلصاً لهذا المبدأ حتى الموت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد أوّل هذا الموقف الجليل على نحوٍ شوّه صورة عبد الله وجعل منه رجلًا مسنّاً متردداً متقاعساً بخيلًا ، ساقت إليه المقادير الخلافة برهة من الزمن . لعمري إنه تأويل واهٍ ، أبسط ما يزعزعه أن أهل مكة ناصروا عبد الله رغم الصعاب والمشاق حتى النهاية ، بل وبعد أفول نجمه أيضاً . ومن الروايات — وعالم الأساطير أولى بها — ما يزعم أن عبد الله أوعز للحسين بالخروج إلى الكوفة ، ليوقعه في أيدي جند الأمويين ويتخلص منه بذلك. إن أخباراً كهذه تتجاوز حدود الرواية التاريخية تجاوزاً ينم عنه الشكل الأدبي للحوار (أنساب البلاذري ٤ قسم ب/١٣ و ٢٠ وما بعدها ؛ غير ذلك في : نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٣٩ ؛ وقارن : تاريخ ابن خياط ص ٢١٩) . هذه الروايات تمت إلى الطبقة المترسبة فوق الطبقة التاريخية الأساسية ، ففيها يتناول الراوي الملتزم لمذهب أو وجهة معينة أحداثاً وأشخاصاً غير واضحة المعالم لبعدها الزمني ، وينقلها إلى عصره بعد أن يعيد صياغتها معدّلاً فيها ما يشاء ، ومضيفاً إليها بخياله ما يريد . أبسط وأصلح مثال لذلك فاجعة كربلاء ؛ فالرواية حولها غير متسقة مترابطة (قارن Wellhausen في كتابه Parteien ص ٦٨ وما بعدها) والحادثة المفزعة مفككة إلى أخبار جزئية كثيرة ، مع أنه كان يمكن رؤيتها ككلٍّ متصل منذ البداية . إن مكان البحث عن أسبابها البعيدة المترابطة هو في تعاليم الإسلام نفسها ، التي لم تعالج مشكلة الخلافة وبالتالي لم تحلها . لقد غاب ذلك عن الرواة والمؤرخين ، لأنهم لم يروا مع بقية المسلمين لهذه المشكلة وجوداً على الإطلاق . كانت مشكلة الخلافة لديهم بجميع اتجاهاتهم هي مسألة الإيمان الصحيح وتأويله ؛ وهذه الإمكانية أصلًا — أعني إمكانية التأويل — هي التي كانت بمثابة المحنة التي واجهتها وحدة الأمة الإسلامية . لقد حُجبت عن الرواة والمؤرخين رؤية المسبّبات الأولية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأساسية ـ وهذا ما ينطبق على كل كتابة للتاريخ مقيدة بنظرة أو عقيدة ما ـ فراحوا يبحثون في ميدان الأسباب المباشرة الظاهرة عمن يحملونه تبعة ذلك ؛ وبدا وكأن مأساة حفيد الرسول الإنسانية تتطلب مثل هذا العمل . لا ريب أن الأمويين هم المسؤولون الرئيسيون عن هذه الفاجعة ، ولكن الخلافة والسلطة كانتا بأيديهم ، وإن أرادت المعارضة انتزاعها منهم . يختلف أمر عبد الله بن الزبير عن الحسن ، فقد بدأ صراعه مع الأمويين بعد موت الحسين وانتهى وحيداً مغلوباً على أمره . إذا ما صُوِّر عبد الله بهذا الشكل ، سهل فيما بعد إلصاق الشبهة به ، بأنه كان يطمع بالخلافة منذ البداية ، أي قبل مصرع الحسين ، وأنه هو الذي رغَّب حفيد النبي في الخروج إلى العراق لغرض خفيّ في نفسه ، وهو التخلص منه ، ليظفر لنفسه بالخلافة . لقد رأى في عدم خروجه مع الحسين إلى العراق برهاناً على ذلك ؛ ولكن كيف كان بوسعه أن يرى مسبقاً ، أن خروج الحسين سيؤدي إلى فاجعة كربلاء ؟ وإن أخفى عبد الله نواياه هذه ، فكيف استطاع الرواة معرفتها ؟ وكيف بايعه الناس بعد تلك الفاجعة ؟ ألا توقع هذه الرواية نفسها في حبائل الإخبار المغرض الملفق ؟

ـ ٦ ـ

عادت أسرة الحسين نساءً ورجالاً وموالي إلى الحجاز ، وراحت الحكومة الأموية ـ كما ذكرنا من قبل ـ تطرق سبيل التفاهم . ويبدو أن يزيد حاول جاهداً الوصول إلى اتفاق مع عبد الله الذي ظل مستتراً عن أهل مكة ، وتسربت إشاعة مبايعة أعوانه له . لم تُوفَّق مساعي يزيد ، ولم تنجح بعد عام منها محاولة عمرو بن الزبير لإخضاع شقيقه عبد الله بقوة السلاح ، لتصميم عبد الله وسرعة ردّ فعله . ومع ذلك فقد رأى عبد الله أن أوان المبادرة لمّا يحن بعد ، وبقي شهوراً مستتراً يذكي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أوار النار ضد الأمويين . لم يخفق عبد الله في هذا ، كما كسب احترام الناس لموقفه الحازم الثابت (قارن : أنساب البلاذري ١١/ ٥٧ ؛ تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول ، ورقة ١٢٦ ب) .

حدث في أواخر صيف عام ٦٢ – ٦٣ هـ / ٦٨٢ م تغير في منصب الولاية في المدينة . ولكي يعمل الوالي الجديد على تهدئة السخط العام ضد الأمويين ، توسط بإرسال وفد من أعيان المهاجرين والأنصار إلى بلاط الأمويين في دمشق ، ظاناً أنهم قد يغيرون موقفهم ضد الأمويين ، إذا كانوا في مقر الدولة ونالوا الأعطيات الوافرة . لقد حدث العكس من ذلك تماماً ، إذ استنكر المهاجرون والأنصار على الخليفة الفاسق تهالكه على الصيد وشربه للخمور (مروج الذهب للمسعودي ٥/ ١٦٠ وما بعدها) ، وشعروا بغربتهم عن أبهة وتحرر المحيط الذي يقيم ويحكم فيه الخليفة الأموي ، وأين منه بساطة وتقشف العهد الإسلامي الأول ، اللتان حافظت المدينة عليهما ، بالرغم من حدوث كثير من التغيرات منذ ذلك الحين . فلما عادوا وحدثوا عما شاهدوه في دمشق ، ثار غيظ أهل المدينة على الخلافة الأموية وأخذوا ينظمون أعمال عنف ضد الحكومة وضد أفراد الأسرة الأموية في المدينة وضواحيها ، مما دفع حكومة الشام إلى إرسال جيش لقمع هذا التمرد والسيطرة على الموقف . وفي أواخر ذي الحجة عام ٦٣ هـ / آب ٦٨٣ م هزم جيش الأمويين المنظم والمتمرس بالقتال أهلَ المدينة في الصحراء الصخرية أمام أبواب المدينة هزيمة نكراء ، قتل فيها عدد كبير من الأنصار والمهاجرين ، وأبيحت مدينة النبي بعدها للسلب والنهب ثلاثة أيام بكاملها .

ما مدى علاقة عبد الله بن الزبير بهذا التمرد ؟ إننا لا نعلم تفاصيل الأمر ، فمصادرنا التاريخية لا تذكر شيئاً حوله ؛ ويمكننا أن نرجع صمتها إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأسباب التالية : ١ - لم تكن رؤية الرواة والمؤرخين للترابط بين الأحداث واضحة جلية . ٢ - كان عبد الله منزوياً وراء الستار ، ومن المستبعد أن تصل اتفاقياته الخفية إلى أسماع الناس . ٣ - لم يؤد إذلال المدينة إلى أية نتيجة من الناحية الدينية - السياسية ، بل انحصر أثره في نطاق الفتنة وأضر بعبد الله ومخططاته . لا بد أن لعبد الله صلةً وثيقة بأحداث المدينة . وإلا فكيف نفسر متابعة الجيش الأموي لزحفه نحو مكة ؟. حاصر الأمويون مكة عدة أسابيع دون أن يصلوا إلى نتيجة حاسمة ؛ ففي أواخر خريف عام ٦٤ هـ / ٦٨٣ م جاء نعي الخليفة يزيد وهو في كمال سن الرجولة ، وتمكن عبد الله من استمالة قائد الجيش الأموى ، فأبدى استعداده لمبايعة عبد الله ، إذا ما خرج معه إلى بلاد الشام وجعل دمشق مركزاً لخلافته . لم يكن باستطاعة عبد الله أن يقبل هذا الشرط دون التنصل من قضيته ؛ وإن رفضه لهذه البيعة المشروطة يؤكد لنا ثباته وتمسكه بهدفه في إعادة مكانة مكة والمدينة . وإن صار هذا الهدف - خصوصاً بعد الأحداث الأخيرة - أقرب إلى الأمنيات منه إلى الواقع . كيف تمكن عبد الله من استمالة القائد الأموي بهذه السرعة ؟ ألا يدلنا ذلك على أن ارتباط الخلافة في مطلع العهد الاموي كان بشخص الخليفة وليس بسلالته ، وأن مبدأ وراثة الخلافة كما ابتدعه معاوية لم يتأصل حتى في وعي رجاله وأعوانه . إذا نظرنا إلى الأمر من هذه الحيثية وجدنا أن إمكانية نجاح عبد الله في مناوأة الأمويين لم تكن معدومة تماماً .

- ٧ -

بقي عبد الله في الحجاز بعد انسحاب جيش الشام ورضي بمبايعته علناً ؛ وتوالت الولايات إلى بلاد خراسان في إعلان مبايعتها له ، ولا سيما أهل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العراق فقد هللوا لطرح نير الأمويين عنهم . أما في الشام فقد ظل الوضع غامضاً بالرغم من انتقال الخلافة إلى معاوية بن يزيد ؛ وبعد فترة وجيزة مات هذا الغلام موتاً مبهماً ، وبدت كفة عبد الله وكأنها تكاد ترجح في بلاد الشام أيضاً (أنساب البلاذري ٥/١٢٧ وما بعدها) ، وخصوصاً عندما أعلنت قبيلة قيس ولاءها له . أما قبيلة كلب فظلت بدافع قرابتها للأمويين في صفوفهم (قارن : الأغاني ١٧/١١) .

في هذه الأثناء قرر عبد الله طرد أفراد الأسرة الأموية من المدينة ، ظناً منه أن هذا يقربه من تحقيق أهدافه . مهما كان قراره حازماً ونابعاً من تصوراته ، فقد أخطأ عبد الله في ذلك وبرهن على أن مثل هذا العمل لا يجدي في تلك الظروف لتحقيق أهداف سياسية ، وأن المعارضة قد تتحجر بسهولة وتخطىء في تقدير الظروف الحقيقية ، إن طال الزمن على صمتها وهدوئها . كان مروان بن الحكم شيخ المطرودين سناً ومكانة ؛ وبالرغم من سوء علاقته بقريبه يزيد ، فقد اضطر للتوجه إلى أقاربه في الشام ، وانبثق عن وجوده هناك أمر هام : خشي الأمويون ومؤيدوهم أن يخسروا الخلافة ويفقدوا امتيازاتهم — ولا سيما والي العراق المطرود عبيد الله بن زياد — فخطر لهم مبايعة مروان بوصفه أكبر أفراد الاسرة الاموية ، مع أنه كان قبل إخراجه من المدينة مستعداً لان يقسم لعبد الله قسم الولاء (راجع : العقد الفريد ٤/٣٩٦) ، ولكنهم عدلوا عن هذه الخطوة ، لأنها ـ كما بدا لهم ـ تفتقد الشرعية اللازمة ، واكتفوا بتنصيبه وصياً على ابن يزيد الثاني لحداثة سنه . وهكذا حصل الحزب الحاكم على قيادته وبقي الوضع مع ذلك معقداً ؛ ولو انتظر الأمويون وترددوا ، لازداد الموقف حدة وتعقيداً ، لذا فقد أصاب أعوان مروان عندما أصروا على قرار عسكري سريع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحاسم ، يوحد بلاد الشام في قبضتهم . لقد دفعهم ضغط الأوضاع عليهم إلى العمل وقادهم إلى النجاح . تمكن مروان بمساعدة قبيلة كلب أن يهزم في سهل مرج راهط (أواخر عام ٦٤ هـ / تموز ٦٨٤ م) الجماعات المنشقة وعلى رأسها قبيلة قيس ، بالرغم من تفوقها العددي ؛ كما استطاع أن يُعدّ لإرجاع مصر إلى سلطان الأمويين لأهميتها الاقتصادية ولخطرها على ميمنتهم .

دفعت هذه الاحداث عبد الله إلى إرسال شقيقه الأصغر مصعب بجيش صغير لاقتحام فلسطين ، فأخفق مصعب في ذلك ؛ كما أخفق مروان فيما بعد في محاولة للتغلب على المدينة . وتمكن الأمويون من العودة إلى مواقعهم الحصينة في بلاد الشام . كان الزمن — كما يبدو - يسير لصالحهم ، إذ لم يبق لهم إزاء خلافة عبد الله لمبدئها المستند على الامة الاسلامية في عهد الرسول وخلفائه الراشدين سوى طريق واحد ، وهو التشبث بالدولة العربية الفاتحة ، كما بناها معاوية خلال عشرين عاماً من حكمه تقريباً ؛ وبعبارة أخرى : تمكنت مدنية الحاضرة المتفوقة أن تعيد بعد خمسين عاماً الضربة لبداوة جزيرة العرب ؛ أمّا انتصارها فكان نصراً للإسلام وللغة العربية داخل الجزيرة وخارجها ، لأن القيادة كانت في قبضة المسلمين العرب دون العجم أو الروم . لقد أدّت وهلة ركود في ريح السياسة العالمية حوالي منتصف القرن السابع الميلادي إلى إيجاد تلك الشروط الخارقة ، وكم كانت الحاجة ماسة إلى شخصية كبيرة لئلا تضيع هباء .

كان أهم قرار اتخذه مروان بعد نجاحه مستنهجاً فيه سبيل معاوية هو استخلافه لابنه عبد الملك من بعده وتحمله تبعة نكث العهد حيال ابن الخليفة السابق . وإن أصابت الروايات التاريخية فقد دفع مروان بعد القرار بقليل (أواخر رمضان ٦٥ هـ / أيار ٦٨٥ م) حياته ثمناً لذلك (راجع العقد الفريد ٤ /٣٩٨) . وهكذا فاز حزب الأمويين بالخليفة الجديد عبد الملك بن مروان — وهو يناهز الأربعين — على الرجل الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يحقق كل الشروط الضرورية للتأهب والانتصار في نزاعهم مع عبد الله بن الزبير في مصر والشام وغيرهما من الأمصار .

إذا أردنا أن نتصور جدية الموقف ، حينما آلت الخلافة إلى عبد الملك ، وضآلة اعتقاده بإمكانية التغيير الجذري في زمن قريب ـ أي اعترافه بالوضع القائم ـ فعلينا أن نتأمل الواقعتين التاليتين :

١ً ـ لم تلق خلافته أية مقاومة في الشام حتى ولا من قبيلة كلب مع حرصها على بقاء الخلافة في يد أسرة يزيد لمصالحها الشخصية ؛ فلا بدّ أنّ ظروفاً قاهرة حدت بها إلى مثل هذا التنازل .

٢ً ـ كانت مدينة القدس منذ عهد النبي مكاناً مقدساً للمسلمين إلى جانب النصارى واليهود ؛ ولكي يمنح عبد الملك ما تبقى في يد الأمويين من الأمصار قيمة دينية ـ سياسية خاصة بها ، فقد سعى لجعل القدس مكاناً يوازن مكة وينافسها في اجتذاب الحجاج المسلمين . لقد كان وجود عبد الله في مكة يجعل الحج إليها متعذراً على عبد الملك وخطراً على أعوانه ؛ إذ كان عبد الملك يخشى على مؤيديه أن يستميلهم عبد الله ويضمهم إلى جماعته أو أن يكرههم على الاعتراف بخلافته . لذا فقد سعى عبد الملك إلى تأويل أحاديث مختلفة ونشرها بين الناس ، من أن النبي ﷺ ساوى بين مكة والمدينة والقدس كأماكن للحج ، بل ورفع القدس عنهما درجات ؛ وطلب عبد الملك من أتباعه المسلمين أن يحجوا إلى الصخرة الشريفة في القدس ، التي عرج النبي منها إلى السماء ، كما تروي قصص الإسراء والمعراج . ولكي يضفي على أمره هذا تعبيراً حسياً ، أوعز عبد الملك ببناء قبة الصخرة الشريفة المشهورة . وبالرغم مما جرّ عليه هذا التجديد من سخط المسلمين ، فقد استطاع عبد الملك أن يردّ على الاتهامات بمثلها . ألم يقم عبد الله ببناء كعبة جديدة تماماً بعد احتراقها أثناء حصار جيش الشام لمكة أسابيع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طويلة في خريف عام ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م ؟ هل صان هو نفسه هذه السنّة التي يتشبث بها الآن ؟ إن فعل عبد الملك هـــذا يدل على استعداده لقبول انشقاق الأمة ، إن كان في ذلك ما يوطد موقفه ويدعمه (١).

- ٨ -

بينما كان الأمويون يسعون بكل وسيلة ممكنة إلى إعادة الاستقرار وتوطيد دعائم حكمهم ونفوذهم ، كان عبد الله يعتقد أن بإمكانه وهو في مكة إدارة شؤون البلاد النائية الموالية له ؛ لكن الأحوال تبدلت وولّى عهد الفتوحات الكبرى الذي كان يمكن التفريق فيه بين الغالب والمغلوب . منذ أن نشب النزاع بين المسلمين أصبحت الولايات تحتاج إلى إدارة دقيقة صارمة أكثر من أي عهد مضى ، إذ لم يعد الأمر بالقرآن والسنة كافياً (أنساب البلاذري ٥/١٩٥) ، ولو حمل عبد الله بن الزبير الدرة تشبّها بالخليفة الشديد عمر بن الخطاب (أنساب البلاذري ٥/١٨٩ وما بعدها) . لقـد باتت الحاجة ماسة إلى ولاة حازمين وإلى عدد هائل من العـاملين بالإدارة والتنظيم . ولكن وجود هؤلاء الولاة يرتبط بوجود خليفة قادر على تحمل أعباء ومسؤلية مهامهم ومراقبتها ، وأنّى لعبد الله الطاعن أن ينهض

(١) قارن المراجع التالية: W. Caskel, Der Felsendom und die Wallfahrt nach Jerusalem. Koln-Opladen 1963 (Arbeits - gem. Nordrhein - Westfalen , Geisteswiss . Heft 114) ; W . Caskel Ein sonderbarer Anonymus des ersten Jahrhunderts d. H. , in: Oriens 16/1963/89 — 98; M. J. Kister, « You shall only set out for three mosques » , a Study of an Early Tradition, in : Le Mnséon 82/1969/173 — 196; Chr. Kessler, « Abd al — Malik's Inscription in the Dome of the Rock : A Reconsideration, in : Journal of the Royal Asiatic Society 1970/2 - 14; E. Sivan, Le caractère sacré de Jerusalem dans l'Islam aux xiie - xiiie siècles, in : Studia Islamica 27 / 1967 / 149 — 182; E. Sivan, The Beginnings of the (Fedā›ilal Quds) Literature, in : Der Islam 48/1972/100 - 110 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بذلك ، فقد انزوى منتظراً أكثر من عشرين عاماً في مكة والمدينة بعيداً عن الأحداث الكبرى . وكما حاولنا أن نبين في هذه المقالة ، فإن عبد الله كان يرفض مغادرة مكة عن اقتناع ديني ـ سياسي ، ولذا فإنه ما كان يتوقع من ولاته تحفزاً للعمل يتجاوز حدود طموحهم الشخصي بالمحافظة على مناصبهم ويفسح المجال للتفكير بدولة إن لم تكن إسلامية فعربية كما كان ينشدها عبد الملك سيراً على طريق معاوية . ومما صعّب الأمر على عبد الله ، أن الشقاق الديني ـ السياسي استمر في العراق لدى شيعة علي ، وأن غلاة الخوارج بثوا فيها الرعب والفوضى . لم ينس الناس مقتل الحسين ، وبقي مصرعه يصرخ في نفوسهم ضد الأمويين ، فإن نشب القتال مراراً ولم يسفر عن نتائج حاسمة فما ذلك إلا لفقدان الرأس المدبر ، وكما يبدو لعدم رغبة ولاة عبد الله في الاستفادة من انفعالات الناس وعاطفتهم بتسخيرها لمخططاتهم . ومع مرور الزمن جرّ ذلك كله على العراق وضعاً قلقاً مضطرباً بكل ما يصاحبه من نتائج سلبية في مجال التجارة والتنقل والأمن والنظام .

لم يعد يحتاج الأمر إلا إلى وقت قصير حتى قلب الشيعة لعبد الله وأنصاره ظهر المجن ، لسخطهم على سياسته الرامية إلى جعل الحجاز مركزاً للدولة ولجفاف علاقته بأهل العراق . سبق أن ذكرنا أن علي بن أبي طالب كان قد اتخذ الكوفة حتى مصرعه منطلقاً لمعاركه ضد معاوية في دمشق ؛ أما الآن فقد بات السخط يأخذ فيها شكلاً منظماً ، وبدأت تتضح معالم الدعوة للخلافة العلوية التي أوشك خطرها أن يحيق بعبد الله ، عندما ظهر المختار ـ أحد أعوان علي القدماء ـ على رأس هذه الجماعات الشيعية . كان عبد الله يعرف المختار تمام المعرفة ، فقد قضى لديه في مكة زمناً طويلاً آملاً أن يوليه على الكوفة . لم يقلده عبد الله هذا المنصب لعدم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثقته به بالرغم من خدماته وبلائه الحسن ، إذ كان ماضيه شاهداً على تكالبه ومهارته في خدمة غاياته الشخصية . لقد أفلح المختار فيما بعد دون مساعدة عبد الله في كسب نفوذ وسيطرة في بلد العراق المتنافر المضطرب ، وراح - وهو خطيب بارع - يبشر في الكوفة وضواحيها بقرب ظهور المهدي الذي سيعيد برجوعه عصر ودولة الدين الحق . استهوت هذه الدعوة أهل الشيعة ، فقد كانوا يرون أنهم حرموا من حقهم الشرعي في في الخلافة ؛ واستمالت كذلك الموالي ، الذين لما يمحوا بعدُ آنذاك رغم إسلامهم كل حقوق العرب الفاتحين وإخوانهم في الإسلام ، وكانوا في الواقع مسلمين من الدرجة الثانية ؛ إذا أضفنا إلى هذا عاملاً آخر ، وهو الأصل واللغة الفارسية المشتركة بين معظمهم ، وجدنا أن ذلك كله قد مهد لعملية التفاعل والتضامن بينهم تجاه الحاكمين العرب ، أي تجاه أعوان عبد الله في العراق .

استغل المختار هذا التضامن لصالحه وأخذ يوجه مجراه لينصب في دعوة سياسية لخلافة علوية ، رشح المهدي لها ، وهو محمد ، الابن الثالث لعلي ابن أبي طالب من غير زوجته فاطمة ؛ وبعبارة أخرى : لقد كان محمد - ويسمى غالباً على اسم أمه محمد بن الحنفية - سليل الأسرة العلوية ولا تجري في عروقه نقطة من دم الرسول ﷺ .

كثر أنصار المختار في الكوفة والضواحي ، واستطاع في ربيع الأول من عام ٦٦ هـ / تشرين الأول ٦٨٥ م أن يُخرج والي عبد الله منها ، وأن يتزعم بهذا العمل أهل الشيعة ويسيطر بذلك على العراق عدا جنوبه ، وعلى مناطق واسعة من الولايات الفارسية . لم يبال المختار ، وهو في هذا الوضع من القوة والسيطرة ، بعدم اتخاذ محمد بن الحنفية في مكة أية خطوة تشير إلى اعترافه به ورضاه بدعوته ، مع علمه بأن المختار قد زوّر كتاباً منه ؛ ولا بدّ أنه خشي عبدَ الله بن الزبير فتردد في الإقدام على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك . أما المختار فكان يعلم أن مكة البعيدة المنزوية لمّا تشكل خطراً يهدده ، وأن عليه أن يستغل موجة الحماسة الأولى لتحقيق انتصارات عسكرية ظاهرة ، وأن يساوي بين العرب والموالي حقاً ، إذا ما أراد ألاّ تنهار حركته تجمداً وتفتتاً من الداخل . تكللت جهود المختار في محرم ٦٧ هـ / آب ٦٨٦ م بنصر ساحق شرقي الموصل على جيش أموي بقيادة والي العراق السابق المكروه عبيد الله بن زياد . وهنا تدخل عبد الله وأرسل شقيقه مصعب إلى البصرة ، وهي آخر ما كان يواليه من المدن العراقية . تتجلى أهمية البصرة في كونها ميناء على الخليج العربي ، وفي موقعها الاستراتيجي في البطائح الممتدة بين دجلة والفرات ، مما يجعلها منطلقاً إلى داخل العراق ، يعسّر الوصول إليها ، ويسهّل الدفاع عنها بعتاد ضئيل ؛ لهذا لم يحاول المختار اقتحامها إطلاقاً ، وظلت مرتعاً للفرق المتعصبة كغلاة الخوارج يتخذون منها مقراً لتجمعاتهم بعد انسحابهم من معاركهم ؛ كما كانت تتمركز هناك لمقاومتهم كتائب منتقاة ، ذات خبرة وروح قتالية بعيدة عن تقلبات الأحداث السياسية اليومية . هذه هي المقومات التي جعلت مصعب يفكر بعد وصوله إلى البصرة ببدء محاربة المختار . كان المختار في هذه الأثناء في أزمة مع أعوانه ، رغم انتصاره الكبير على الأمويين ، وكان خطر التمزق يهدد حركته ، منبعثاً من معضلة مساواة الموالي بالعرب . لم يرض العرب بنقص امتيازاتهم ، ورأى الموالي أنفسهم على طريق المساواة مع إخوانهم المسلمين العرب ، فأبوا أن يرجعوا القهقرى . وأخيراً خاب ظن بعض زعماء القبائل بالمختار ، وتحولوا عنه إلى مصعب فضمهم إلى صفوفه ، وتجرأ حينئذ على التصدي للمختار في معركة مكشوفة لم يقرر مصيرها عدد الكتائب ، وإنما حسن تدريبها ونظامها . هُزمت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتائب المختار مرتين ، وحوصر مع بقية أعوانه في قصر الكوفة مدة أربعة أشهر ؛ وفي شهر رمضان عام ٦٧هـ / نيسان ٦٨٧ م قتل أثناء محاولة يائسة للخروج من القصر ، وخلّف وراءه إرثاً ثقيل العبء .

باتت وحدة العراق وهماً . فقد اشتدت حدة النقائض الدينية ـ السياسية بين المسلمين ، ولم تزل المشاكل الاجتماعية النابعة من تعدد أجناس أهل العراق ؛ وساءت الحالة الاقتصادية نتيجة الاضطرابات المستمرة والمعارك المتعددة ؛ كما كانت الضرائب قد أثقلت كاهل العراق في السنوات الأخيرة . فعندما حلّ الآن الهدوء ظاهرياً وراح مصعب يستنهض أهل العراق لقتال الأمويين من جديد ، تثاقلوا ولم يبالوا بالأمر . ولربما اختلف الوضع لو كان الخليفة عبد الله نفسه بينهم ؛ أمَا كان عليه أن يجازف بحياته من أجل خلافته ؟ ولكن أمير أمة المسلمين ظل قابعاً في مكة البعيدة ، وكان في الواقع أميراً بلا أمة . يختلف الأمر لدى الخليفة الأموي عبد الملك ؛ لقد اتخذ مقره في مركز مناطق سلطانه . وكان يرى ويعلم أن الثمار أينعت خلف بادية الشام ، وحان أوان قطافها . لذا فقد هادن البيزنطيين ليضمن لنفسه مجالاً واسعاً في العمل . لم يستطع توسيع نطاق معاركه ضد مصعب مباشرة ، إذ أعاقته مجاعة حلت بالشام ، ومن ثم مؤامرة لخلعه دبرها أحد أقاربه ، وهو في طريقه إلى العراق في صيف ٧٠هـ /٦٨٩ م . اضطر مصعب أن يركز على إجراءات دفاعية ؛ ولكن انتصار الأمويين كان يقترب خطوة خطوة ؛ فنفوذ الدولة الأموية المترابطة بدأ يتوسع نحو الخارج عموماً ، ويبدو بشكل واضح في بلاد الرافدين . لم تلعب دسائس أعوان الأمويين في ذلك إلا دوراً ثانوياً ، فالهوة الدينية ـ السياسية الشاسعة بقيت تحول هناك دونهم ؛ ولكننا كثيراً ما نلاحظ أن السلطة الموطدة الحازمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في بلد ما تزيد مع مرور الزمن من حدة الظروف المزعزعة في البلد المجاور ظاهرة قد تكون عواملها لا عقلانية أكثر منها عقلانية ، ولعله يكمن فيها أهم سبب في توسع نفوذ الأمويين . عندما تحطم التمرد في البصرة في صيف عام ٧١ هـ / ٩٦ م ، كان عبد الملك يقف وجيشه على الحدود الشمالية للعراق ، ولكنه أحجم عن بدء الهجوم ، ولم يجرؤ مصعب طبعاً على المبادرة . جرت المحاولة الثالثة بعد عام من هذا ، وقادت إلى النتيجة الحاسمة .

اتبع عبد الملك خطة تحقيق انتصارات صغيرة في شمال العراق ، ووفق في معاركه ضد جماعات الشيعة وقبيلة قيس ؛ كما لم يقتصر على تحييدهم في نزاعه مع عبد الله ، بل استطاع بحنكته وتساهله أن يكسبهم لنصرته في القتال . لقد جر هذا على مصعب بن الزبير نتائج كبيرة ، إذ أن المشقات والهواجس كانت قد أوهنت عزم أعوانه واستعدادهم للقتال ، فلم تكن هذه الحوادث طبعاً عاملاً مشجعاً لهم ، بل لا بد وأنها حطمت بقية روحهم المعنوية . فعندما تلاقى الجيشان في خريف عام ٧٢ هـ / ٦٩١ م بالقرب من دير الجاثليق على نهر دجلة ، وقبل أن يبدأ القتال ، أخذ أمراء جيش مصعب ينسلون إلى عبد الملك ويتفاوضون معه سراً . وهكذا وضحت نتيجة المعركة منذ البداية . لقد قرر انكسار مصعب وموته مصير شقيقه عبد الله وجعله أمراً مقضياً . خضع العراق للأمويين ، وحان الأوان لهم للتخلص من عبد الله وإخضاع مكة ؛ فأرسلوا لها جيشاً ، وعززوه بكتائب أخرى بعد سقوط المدينة ، ومع ذلك فقد دام حصارها نحو سبعة أشهر (أنساب البلاذري ١١/٤٦ وما بعدها) . ولما أدرك عبد الله أن الحالة غدت يائسة لا تطاق ، وأن أعوانه يعانون من أهوال الحصار ، خرج يقاتل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مستميتاً أمام أبواب مكة ، حتى لقي مصرعه في يوم الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى من عام ٧٣ هـ / تشرين الأول ٦٩٢ م (١) .

— ٩ —

خمدت الفتنة بعد اثني عشر عاماً . أثيرت عندما أنكر الناس علناً في المدينة ومكة شرعية الخلافة الأموية ، وتعمقت عندما سفح دم حفيد الرسول فشق الأمة الإسلامية إلى معسكرين كبيرين ، ومن ثم عندما جعل

(١) تتفق المصادر على أن عبد الله قتل في يوم الثلاثاء (انظر العقد الثمين للفاسي ٥/١٥٩ و ١٥٠) ؛ إلا الخوارزمي (ص ٣٤) فيذكر يوم الاثنين ؛ وقسم من المصادر يضيف : في السابع عشر من جمادى الأولى . مثلاً : ابن سعد (لدى الطبري ٢/٨٤٩ ، وكذلك في تهذيب الأسماء للنووي ص ٣٤٢) ؛ المحبر لابن حبيب ص ٢٤ ؛ تنبيه المسعودي ص ٣١٣ وما بعدها ؛ صفوة الصفوة لابن الجوزي ١/٣٢٥ ؛ البداية لابن كثير ٨/٣٣١ ؛ شفاء الغرام للفاسي ٢/١٦٩ . أما القسم الآخر فيقول : في السابع عشر من جمادى الآخرة ، مثلاً : تاريخ ابن خياط ص ٢٦٦ (ولكن قارن ص ٢٦٧ وطبقات ابن خياط ص ٢٣٢) ؛ الأخبار الطوال للدينوري ص ٣١٥ ؛ مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢/٦٣ ؛ والخوارزمي أيضاً ص ٣٤ . ولكن كلا التاريخين المذكورين لا يقعان — حسب الجداول الزمنية — في يوم الثلاثاء من عام ٧٣ هـ ، بل في يوم الجمعة (٤ تشرين الأول ٦٩٢ م) ، وفي يوم الأحد (٣ تشرين الثاني ٦٩٢ م) ؛ وأما المسعودي في مروج الذهب ٥/٢٦٥ فيعطي تاريخاً صالحاً ، وهو الثلاثاء في الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٧٣ ، وهذا يعني الثلاثاء في ١ تشرين الأول ٦٩٣ م . ويدعم صحة هذا التأريخ أولئك الرواة ، كابن حبيب في المحبر ص ٣٤ (يقال) ، الذين لا يذكرون يوماً محدداً لمقتل عبد الله ، وإنما يقولون : في نصف جمادى الأولى . كما أنه من السهل أن تلتبس قراءة سبع عشرة وتقرأ أربع عشرة . وقد يرجع الخطأ إلى ابن سعد ، قارن تهذيب الأسماء للنووي ص ٣٤٢ : « هكذا نقله ابن سعد عن أهل العلم » لمراجعة أمثال هذه الالتباسات انظر كتابي حول المخطوطات العربية في ألمانيا (تحت الطبع) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأمويون بعد موت يزيد أحقية الخلافة نهائياً في سلالتهم . إن فعل أهل الشام هو الذي أوجب ردّ الفعل عند أهل المدينة ومكة . أخفقت الفتنة بالضرورة ، لأن زعيمها عبد الله بن الزبير انطلق من شروط خاطئة لتأخرها عن أوانها ، أضف إلى ذلك انقسام المعسكر المعادي للأمويين إلى حزب الزبير وإلى الطليعة الداعية للخلافة العلوية . فإن كان الحزب الزبيري ينشد إعادة مكة والمدينة إلى ما كانتا عليه من منزلة وسلطان في عهد النبي ﷺ ، فقد سعى الحزب العلوي في سبيل خلافة علوية مقرها العراق تدفعه لذلك المصلحة السياسية المحلية التي كانت – كما يظهر – تعني للموالي أيضاً إحياء التراث الفارسي العظيم ، كما كان في عصر الشاه في المدائن . وتفاقم الصدع بين صفوف معارضي الحكم الأموي ، وأضحى هوة شاسعة ، عندما تزعم المختار الشيعة في العراق ، لأنه لم يتوان عن تحريف الإسلام كما جاء به الرسول ، لجعله مطية لطموحه الشخصي في الحكم والسيطرة .

من العبث أن نتساءل ، عما كان يمكن أن يحدث لو انتصر عبد الله ابن الزبير في أمره ؟ لو أنه غادر مكة أثناء خلافته ، وهو الذي قاد جيوشاً عديدة للنصر في حياته . لقد كان يتصور أن بقاءه في الحجاز أمر بديهي ، لأنه بويع على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، (أنساب البلاذري ٥/١٨٨ و ١٩٧) ولم يخرج الخلفاء الراشدون مع الجيوش الفاتحة ، بل تركوا ذلك الأكفاء من قوادهم ، أما الخليفة علي فلم يكتب له النجاح . كما كان على عبد الله بصفته رأس الأمة الاسلامية أن يتولى كل عام أمر الحجاج وطوافهم حول الكعبة (تاريخ ابن خياط ص ٢٤٩ و ٢٥٧ ؛ تاريخ اليعقوبي ٢/٣٢٠ ؛ تاريخ ابن عساكر ٧/٤١٢): وبهذا بقي عبد الله على اتصال شخصي مستمر بالأمصار الإسلامية ، وهو الذي شارك أيضاً في عهد عثمان مشاركة جلّى في جمع القرآن وتوحيده . لم يكن هذا الاتصال طبعاً كافياً للحفاظ على خلافته ، ولكننا لا يمكن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن نتوقع من عبد الله أن يرى ذلك من زاوية نظره ، إذ أنه كان مخطئاً خطأ عربي في الجزيرة يشعر أن واجبه صيانة الحكم الديني كما جاء به الرسول ﷺ ، ولم يستطع ـ ولا شك في صدق إيمانه ـ أن يدرك أن مدينتي النبي مكة والمدينة لا تصلحان كمركز سياسي لدولة كانت على أهبة الوثوب لتصبح دولة عالمية .

قويت جذور الأمويين بخمود الفتنة الثانية في الإسلام واستقر المبدأ الوراثي في الخلافة ؛ كما انتهى دور مكة والمدينة كمقر للخلافة في فجر العهد الإسلامي ، ولكنهما حافظتا إلى يومنا هذا على أهميتهما كمكانين مقدسين عند المسلمين في شتى أنحاء العالم . أما أهل شيعة العراق فأضحوا بعد نكبات سياسية متكررة رافداً ثانوياً متشعباً في الإسلام ؛ وكم استغلتهم أحزاب سياسية طامحة في الحكم والسلطان لتحصل عن طريقهم على الشرعية اللازمة ، دون أن يكون لهم نيّة أو يدٌ في ذلك . وهكذا استطاع العباسيون بعد جيلين من الزمن أن يُسقطوا ، باسم أولاد عمهم العلويين، الدولة الأموية الفاتحة ويعلنوا ظهور الدولة العباسية بنظام حكمها الديني . لقد اعتمد العباسيون على الفرس ، واتخذوا العراق منطلقاً في تأسيس الدولة الإسلامية الموحّدة . يكمن أهم سبب لضعف وسقوط الأمويين في إخفاقهم في حل مشكلة تحرر الموالي الاجتماعية ، والتي ظهرت للمرة الأولى على شكل سياسي في عهد المختار في العراق . لم يعد الذين خرجوا يوم صفين من حزب علي إلى صفوفه ، بل كوّنوا أول فرقة دينية منفصلة في الإسلام ، ألا وهي فرقة الخوارج . استطاعت هذه الفرقة أن تصمد فترة طويلة في العراق وفي جزيرة العرب ثم في شمال إفريقيا ، وأصبحت أنموذجاً للفرق الدينية ـ السياسية فيما بعد . أما المختار فقد أدخل في الإسلام تراثاً غريباً عنه ، وبقيت فكرة المهدي حية إلى عصرنا هذا ، بعد أن أثرت مراراً في مجرى التاريخ الإسلامي ، تغذيها بذلك الحركات الاجتماعية الثورية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم يحاول الأمويون إزالة المنافسات الدموية بين قبيلتي قيس وكلب في الهلال الخصيب والمناطق المجاورة ، بل استخدموها للحفاظ على سلطانهم ، هذه المنافسات هي التي أعاقت مدّ توسع الإسلام ، فظلت القسطنطينية في عشرينيات وثلاثينيات القرن الثامن الميلادي عسيرة المنال . كما أثارت هاتان القبيلتان في الوقت ذاته منازعات داخلية عنيفة في إسبانيا ، تعذرت وتوقفت بسببها غزواتهم للمناطق خلف جبال البرانس . يطلق المؤرخون العرب على هذه الفتنة بحقّ اسم عبد الله بن الزبير ، زعيم الحزب الرامي إلى إعادة الأوضاع الغابرة . ولقد غدت هذه الفتنة عاملاً موجهاً لتطور الإسلام ، مقرراً لمعالمه كدين ، ولحدوده الجغرافية ـ السياسية كسلطان في أوج الخلافة العباسية ؛ وهذا يعني ـ خلافاً للتصور التاريخي الأوربي الشائع ـ أن حدود الإسلام في مرحلة توسعه الأولى لم تفرض عليه بشكل حاسم من قبل البيزنطيين في الشرق أو الافرنج في الغرب .

فرانكفورت « المانيا الغربية » **رودلف زولهايم**

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثبت لأهم مصادر ومراجع
ترجمة عبد الله بن الزبير

حسب الترتيب الزمني

١ – المصادر العربية :

– كتاب الطبقات الكبير ، لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) – تحقيق E. Sachau وآخرين ، ١ – ٩ . ليدن ١٩٠٤ – ١٩٤٠ ؛ [سقطت ترجمة عبد الله من أول الجزء الخامس ، القسم التاسع (تراجم التابعين في المدينة) ، لأن مخطوطة Cotha المعتمدة في التحقيق ناقصة في هذا الموضع ؛ كما سقطت من مخطوطة شهيد علي باشا ١٩٠٥ التامة (؟) – راجع H. Ritter في مجلة Der Islam ١٨/١٩٢٩ / ١٩٦ – ١٩٩ ؛ وكذلك K. V. Zetterstéen في Sonderausgabe aus den Sitzungsberichten der Preussischen Akademie der Wissenschaften برلين ١٩٣٣ ، ١٧/٧٩٠ – ٨٢٠ ؛ – أما دليل وجودها أصلاً فهو استشهاد الطبري بها ٢/٨٤٩ ، والنووي أيضاً ص ٣٤٢] .

– الخوارزمي « ت بعد ٢٣٢ هـ/٨٤٦ م » ، في Fragmente syrischer und arabischer Historiker – تحقيق F. Baethgen ليبزج ١٨٨٤ [تبعاً للمخطوطة السريانية العربية Chronographie des Elias von Nisibis « ت بعد ١٠٤٦ »] .

– نسب قريش ، للمصعب بن عبد الله الزبيري « ت ٢٣٦ هـ/٨٥٠م » – تحقيق E. Lévi – Provençal ، القاهرة ١٩٥٣ « ذخائر العرب ١١ » .

– التاريخ ، لخليفة بن خياط « ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م » – تحقيق أكرم ضياء العمري ، ١ – ٢ . بغداد ١٣٨٦ هـ/١٩٦٧ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— الطبقات ، لخليفة بن خياط ـ تحقيق أكرم ضياء العمري ، بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

— المحبر ، لابن حبيب « ت ٢٤٥ هـ/٨٦٠ م » ـ تحقيق I. Lichtenstaedter حيدر أباد ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م (راجع مقال المحققة أيضاً في Journal of the Royal Asiatic Society ١٩٣٩/١-٢٧) .

— المنمق في أخبار قريش ، لابن حبيب ـ تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، حيدر أباد ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م .

— البيان والتبيين ، للجاحظ « ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م » ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ١ ـ ٤ ، القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م — ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .

— التاريخ الأكبر ، للبخاري « ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م » ، ١ ـ ٤ . حيدر أباد ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م - ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م : الجزء الثالث ، القسم الأول ص ٦

— جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار « ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م » — تحقيق محمود محمد شاكر ، الجزء الأول . القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

— فتوح مصر وأخبارها ، لابن عبد الحكم « ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م » — تحقيق Ch . C. Torrey ، نيوهافن ١٩٢٢

— المعارف ، لابن قتيبة « ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م » ـ تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ١٩٦٠ . (راجع محمد جواد في : مجلة المجمع العلمي العربي ٩/١٩٦٢/٤٣٣ — ٤٥٩) .

— عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، ١ ـ ٤ . القاهرة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م — ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— فتـــوح البلدان ، للبلاذري « ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م » — تحقيق M. J. de Goeje ، ليدن ١٨٧٠ .

— أنساب الأشراف ، للبلاذري ، ٤ ب ـ ٥ ـ تحقيق M. Schloessinger و S. D. F. Goitein ، القدس ١٩٣٦ - ١٩٣٨ [أعيد طبع هذه النشرة الممتازة قبل زمن يسير بطريقة التصوير] .

— أنساب الأشراف ، للبلاذري ، ١١ — تحقيق W. Ahlwardt ، جرايسفالد ١٨٨٣ .

— الأخبار الطوال ، للدينوري « ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م » ـ تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٦٠

— التاريخ ، لليعقوبي « ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م» — تحقيق M. Th. Houtsma ١ — ٢ . ليدن ١٨٨٣

— الكامل ، للمبرد « ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م » — تحقيق W. Wright ، ليبزج ١٨٦٤ — ١٨٩٢

— أخبار القضاة ، لوكيع « ت ٣٠٦ هـ/٩١٨ م » — تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي ، ١ — ٣ . القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م — ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م .

— أخبار الرسل والملوك ، للطبري « ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م » — تحقيق M. J. de Goeje وآخرين ، ١ - ١٥ ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١ .

— الاشتقاق ، لابن دريد « ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م » — تحقيق عبد السلام محمد هارون ، [القاهرة] ١٢٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

— العقد الفريد ، لابن عبد ربه « ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م » — تحقيق أحمد أمين وآخرين ، ١ ـ ٧ . القاهرة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م - ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م وخصوصاً ٤/٣٩٢ وما بعدها [تبعاً لأبي عبيد عن أبي معشر !] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي « ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م » تحقيق Ch. A. C. Berbier de Maynard و A. J.B. Pavet de Courteille ، ١ — ٩ . باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ .

— التنبيه والإشراف ، للمسعودي — تحقيق M. J. de Goeje ليدن ١٨٩٤ .

— المبدأ والتاريخ ، للمطهر بن طاهر المقدسي « ت حوالي ٣٥٥ هـ / ٩٦٦م » — تحقيق Cl. Huart ، ١ — ٦ . باريس ١٨٩٩ — ١٩١٩ ؛ وكذلك : الفهارس ، لعبد الله الجبوري ، بغداد ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

— الأغاني ، لأبي الفرج الإصبهاني « ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م » ، ١ — ٢٠ . بولاق ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م ؛ وكذلك الفهارس Tables alphabétiques نشرها I. Guidi وآخرين ، ليدن ١٩٠٠ .

— نور القبس المختصر من المقتبس ، للمرزباني « ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م » — تحقيق R. Sellheim ، الجزء الأول . فيسبادن — بيروت ١٩٦٤ .

— تاريخ الخلفاء ، لمؤلف مجهول (من القرن ٥ هـ / ١١ م) — تحقيق P. A. Grjaznevic وآخرين . موسكو ١٩٦٧ ، صورة طبق الأصل .

— حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الإصبهاني « ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م » ، ١ — ١٠ . القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م — ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨م : ١/٣٢٩ — ٣٣٧ .

— جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم « ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م » — تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م « ذخائر العرب ٣ » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي « ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م » ، ١ - ١٤ . القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٢١ م : ١٤/٣٨ .

— الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر « ت ٤٦٣ هـ/١٠٧١م » - تحقيق علي محمد البجاوي ، ١ - ٤ . القاهرة ١٩٦١ .

— تاريخ البيهقي ، لأبي الفضل البيهقي « ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م » - ترجمه عن الفارسية يحيى الخشاب وصادق نشأت . ، القاهرة (١٩٥٦ !) .

— تهذيب تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق) ، لابن عساكر « ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦ م » — تحقيق عبد القادر أفندي بدران وأحمد عبيد ، ١ - ٧ . دمشق ١٣١٩ هـ/١٩١١ م - ١٣٥١هـ - ١٩٣٢ م - : ٧/٣٩٦ - ٤٢٣ .

— صفوة الصفوة ، لابن الجوزي « ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م » ، ١ - ٤ . حيدر أباد ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م — ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م : ١ / ٣٢٢ - ٣٢٥ .

— الكامل في التاريخ ، لابن الأثير « ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م » ، ١ — ١٣ . بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

— أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، ١ - ٥ . بولاق ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧ م — ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م .

— تهذيب الأسماء ، للنووي « ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م » - تحقيق F. Wuestenfeld جوتنجن ١٨٤٢ - ١٨٤٧ .

— مختصر تاريخ البشر ، لأبي الفداء « ت٧٣٢ هـ/١٣٣١م » ، ١ - ٤ . القاهرة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م [مأخوذ إلى حد ما من ابن الأثير «راجع مقدمة أبي الفداء »]

— كتاب العبر لابن خلدون « ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م) ، ١ - ٧ . بيروت ١٩٥٦ - ١٩٥٩ : ٢ - ٣/فهرس] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، للذهبي « ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م » ، ١ - ٦ . القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧ م - ١٣٦٩ هـ /١٩٤٩م.
- العبر في خبر من غبر ، للذهبي - تحقيق صلاح الدين المنجد ، ١ - ٥ . الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦.
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية « ت ٧٥١ هـ/١٣٥٠م »، ١ - ٤ . القاهرة ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م ، (في البداية حول فضائل مكة ، راجع R. Sellheim في دائرة المعارف الإسلامية . الطبعة الجديدة ٢/١٧٦٥/٧٢٨ - ٧٢٩ . مادة فضيلة ؛ ومن أجل الأحاديث ، راجع A. J. Wensinck في كتابه – A Handbook of Early Mnhamm adan Tradition – ، ليدن ١٩٢٧ : مادة مكة .. الخ) .
- فوات الوفيات ، للكتبي « ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٣م » – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١ - ٢ . القاهرة ١٩٥١ .
- البداية والنهاية ، لابن كثير « ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٣ م » ، ١ - ١٤ . القاهرة ١٣٤٨ هـ/١٩٢٩ م - ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م .
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، للفاسي « ت ٨٣٢ هـ/١٤٢٩ م » ، ١-٢ . القاهرة ١٩٥٦ : ٢/١٦٨-١٧٠ ؛ وكذلك تحقيق F. wuestenfeld لبعض المصادر العربية المختلفة مع ملخص باللغة الألمانية بعنوان Die Chroniken der Stadt Mekka ، ١ - ٤ . ليبزج ١٨٥٨-١٨٦١ : خصوصاً ٤/١٢٧ - ١٤٥ .
- العقد الثمين ، للفاسي ، ١ - ٨ . القاهرة ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨ م - ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩ م : ٥/١٤١ - ١٥٩ ، رقم ١٥٢٣

شذور العقود في ذكر النقود ، للمقريزي « ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢ م »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

– تحقيق محمد السيد علي بحـــر العلوم ، الطبعة الخامسة ، النجف ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
– تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني « ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م » ، ١ – ١٢ . حيدر أباد ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م – ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .
– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي « ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م » ، ١ – ٢ . القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م – ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
– مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لطاش كبري زاده « ت ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م » ، ١ – ٤ . القاهرة ١٩٦٨ : ٢/٣٦
– تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، للديار بكري « ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م » ، ١ – ٢ . القـاهرة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ م : ٢ / ٣٣٦ – ٣٤٢ .

٢ – المراجع الأجنبية :

– M. Quatremère, Mémoire historique sur la vie d'Abd-allah ben-zobeir, in : Journal Asiatique 9/1832/289-339, 385-437; 10/1832/39-82, 137-168.
– G. Weil, Geschichte der Chalifen, 1-5. Mannheim-Stuttgart 1846 – 1862 .
– F. Wuestenfeld, Register zu den genealogischen Tabellen der Arabischen Staemme und Familien, mit historischen und geographischen Bemerkungen. Goettingen 1853 .
– R . P . A . Dozy, Geschichte der Mauren in spanien bis zur Eroberung Andalusiens durch die Almoraviden (711 – 1110), 1 • 2 . Leipzig 1874 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

– F. Wuestenfeld, Die Familie al - Zubeir. Goettingen 1878 .

– A. Mueller, der Islam im Morgen und Abendland , 1 - 2 . Berlin 1885 – 1887 .

– C. Snouck Hurgronje, Mekka, 1 - 2 . Haag 1888 – 1889 : 1/26 - 29 .

– J. Wellhausen, die religioes - politischen Oppositio - nsparteien im alten Islam. Goettingen 1901 .

ترجمه عن الألمانية عبد الرحمن بدوي : أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسلام . الخوارج والشيعة – القاهرة ١٩٥٨ (دراسات إسلامية ٢٢) .

– J. Wellhausen, das arabische Reich und sein Sturz . Berlin 1902 .

ترجمه محمد عبد الهادي أبو ريدة : تاريخ الدولة العربية . من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية – القاهرة ١٩٥٨ (الألف كتاب ١٣٦) .

– H . Lammens , Le califat de Yazid Ier , in Mélanges de la Faculté orientale de l'Université St. Joseph de Beyrouth 4/1910/233 - 312; 5/1911 - 12 / 79 - 267, 587 - 724; 6/ 1913/401 - 492; 7 / 1914 - 21 / 211 - 244 .

– F.Buhl, Die Krisis der Umajjadenherrschaft im Jahre 684, in : Zeitschrift für Assyriologie 27/1912/50 - 64

– M. Seligsohn, Abd Allāh b. al - Zubair, in : El 1/1913 /34 – 35 .

– E. Sachau, Syrische Rechtsbücher, 1 - 3. Berlin 1907 - 1914 : 2/viiff.

– L. Caetani, Chronographia islamica ossia riassunto

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

cronologico della storia di tutti i popoli musulmani all'anno 922 d. H., fasc. 1 - 5 (anni 1 – 132 H. = 622 – 750 E. V.) . Paris 1912 – 1922 .

– H. Lammens, L'avènement des Marwānides et le califat de Marwān Ier, in : Mélanges de la Faculté orientale de l' - Université St. - Joseph de Beyrouth 12/1927/43 -147.

– G. Levi Della Vida, Il califfo Mu āwiya I. Rom 1938.

– H. A. R. Gibb, Abd Allāh b. al - Zubayr, in : EI^2/1 1954/54 - 55.

– W. Caskel, Gamharat an - nasab. Das genealogische Werk des Hisām ibn Muhammad al – Kalbi [gest. 204/819 ?], Leiden 1966 : 1/Tafel 19; 2/121 b.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ـ صك النقود :

أ ـ المصادر العربيـــة :

- فتوح البلدان ، للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) ـ تحقيق M. J. de Goeje ليدن ١٨٧٠ : ص ٤٦٥ ، ٤٦٧
- نور القبس المختصر من المقتبس ، المرزباني (ت ٨٤٥ هـ/ ٩٩٤ م) ـ تحقيق R. Sellheim ، الجزء الأول ، فيسبادن ـ بيروت ١٩٦٤ : ص ٢٩٦
- شذور العقود في ذكر النقود ، للمقريزي (ت ٨٣٤ هـ/ ١٤٤٢ م) ـ تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم ، الطبعة الخامسة ، النجف ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م : فهرس .

ب ـ المصادر الأجنبية :

- Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft 12/1858/52.
- G.C.Miles, Some New Light on the History of kirmān in the First Century of the Higrah, in : The world of Islam, Studies in Honour of Philip K. Hitti. London 1960; P. 85 – 98.
- O. I. Smirnowa, Katalog monet s gorodisca pendzikent. Moskau 1963.
- Bustan 4/1963 - 1/1964/84 Nr. 11.
- H. Gaube, Arabosasanidische Numismatik, Braunschweig 1973, Index .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفتنـــة لغوياً :

أصلها إذابة الفضة أو الذهب بالنار لتمييز الردىء من الجيد . وترد في القرآن الكريم بمعنى الاختبار والابتلاء والامتحان ، فالله يختبر الإنسان وإيمانه بالشيطان أو بالكافرين أو بالأموال والبنين : « يابني آدمَ لايَفتِنَنَّكمْ الشيطانُ كما أخرج أبويْكمُ من الجنَّة » (الأعراف ٧/٢٧)؛ « ليجعلَ مايُلقي الشيطانُ فتنةً للذين في قلوبهم مرضٌ » (الحج ٢٢/٥٣) ؛ « إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » (التغابن ٦٤/١٥) ؛ « وجعلنا بعضكمْ لبعضٍ فتنةً » (الفرقان ٢٥/٢٠) . ومن ثَمَّ فقد اكتسبت الكلمة معاني حيادية كالإعجاب والوله والغرام .

أما الفتنة بمعنى القتل والحرب والاختلاف بين الفرق فنجدها لدى المصنفين العرب تمتزج بالمعاني القرآنية (راجع مثلاً تاريخ ابن خياط ص ٢٣٣ ، وقارن أيضاً ص ٢٢٣ ؛ العقد الفريد ٤/٣٩٦) : انظر أيضاً L. Gardet في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الجديدة ٢/١٩٦٥/٩٣٠ وما بعدها ، مادة Fitna ؛ وكذلك في هفت بيكر ، البيت ١٣ مقطع ٢٥ للشاعر الفارسي نظامي ، تحقيق H. Ritter و J. Rypka طبعة براغ ١٩٣٤ ؛ وقارن أيضاً J. - G. Vadet في مجلة Revue des Études Islamiques ٣٧/١٩٦٩/٨١ - ١٠١ ؛ و G. H. A. Juynboll في مجلة Arabica ٢ / ١٩٧٣ / ١٤٢ — ١٥٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net